جزيرة الإسلام

أخي القارئ الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد:

فهذه محاضرة **"جزيرة الإسلام"** وهي المحاضرة رقم (٣١) ضمن سلسلة الدروس العلمية العامة التي كنت ومازلت ألقيها بحمد الله في الجامع الكبير ببريدة حرسها الله، زدت فيها ونقَّصت وغيَّرت وبدَّلت.

أسأل الله أن يتوفانا غير مبدّلين ولا مغيّرين ولا زائدين ولا ناقصين.

والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو العفوّ

سلمان بن فهد العودة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فإن الله ﷻ هو الذي يخلق، وهو الذي يختار، خلق البشر، واختار منهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخلق الملائكة، واصطفى منهم أفضلهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وخلق البلاد والأرضين، واختار منها بقاعًا هى أفضلها وأطهرها، يقول الله ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص:٦٨]، ويقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج:٧٥]، وهذا الاختيار والاصطفاء الإلهي لابد أن يكون على علم؛ لأن الله تعالى هو العليم، يقول ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤]، ويقول جل وعلا: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان:٣٢].

وفي هذه الرسالة سنحاول إلقاء الضوء على واحدة من

البقاع التي اصطفاها الله ﷻ وكرّمها وشرفها، وذلك من خلال الفصول التالية:

الفصـــل الأول: أماكن اصطفاها الله تعالى.

الفصل الثـــانى: الجزيرة العربية وما ورد في فضلها.

الفصل الثالث: موقع الجزيرة ومميزاته.

الفصل الرابـــع: فضل العرب وقبائلهم وبلاؤهم فى الإسلام.

الفصل الخامس: ماضى الجزيرة وحاضرها ومستقبلها.

* * *

الفصل الأول

أماكن اختصّها الله تعالى

هناك أماكن اختارها الله ﷻ واصطفاها واختصها، وهى كثيرة جدًا، فلنقف على شيء منها، وطرف مما ورد في فضائلها:

- **مكة والحرم:**

- **حرمة إلى يوم القيامة:**

لقد اختار الله تعالى مكة والحرم من حولها، قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ **للذي** بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن **دخلهُ** كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران:٩٦،٩٧].

ويقول الرسول ﷺ، فيما رواه أبو شريح العدوي: " **إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها؛ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار،ثم عادت حرمتها**

اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب "[1].

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما يقول الرسول ﷺ: **"إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يُختلى خلاها، ولا يُعْضَد**[2] **شجرها، ولا يُنفَّر صيدها، ولا تُلتقَط لقطتها إلا لمعرف"**[3].

- **إليها تشد الرحال:**

ويقول الرسول ﷺ: **"لا تُشدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجدَ: المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ الرسولِ ﷺ، ومسجدِ الأقصى"**[4]، فلا يجوز السفر إلى بقعة فى الأرض كلها بقصد العبادة، إلا إلى هذه الأماكن الثلاثة، التي منها المسجد الحرام بمكة.

ويقول الرسول ﷺ: **"صلاة في مسجدي هذا أفضل من**

(1) رواه البخاري (٤٢٩٥) ، ومسلم برقم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

(2) العَضْد: قطع الفروع التي تنبت على سوق الشجر أو على فروعها العظيمة. المعجم الوسيط (٦٢٩/١).

(3) رواه البخاري (١٨٣٣)، ومسلم (١٣٦٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(4) رواه البخاري (١١٨٩) وهذا لفظه، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام"[1].

- **خير البقاع وأحبها إلى الله:**

ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة –وكانت آنذاك بلدًا صغيرًا، ربما في حدود الحرم اليوم وما حوله– ما كان منه ﷺ لما تجاوزها وصار إلى الشمال الشرقي منها؛ إلا أن التفت إليها وهو يبكي، ويقول –مخاطبًا مكة التي أحبها–: **"والله إنك لخير أرض الله، وأحــب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخــرجت منــك ما خرجت"**[2].

- **أهلها لا يخافون الضَّيعة:**

ومثله ما رواه البخاري: "أن إبراهيم عليه السلام جاء بهاجر وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء،

(1) رواه البخاري (١١٣٣)، ومسلم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه أحمد (١٨٢٤)، والترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨) من حديث عبد الله بن عدي رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

ثم قفّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب، وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا. ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه؛ استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى [أو قال: يتلبط[(1)]] فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت

(1) تلبَّط: صُرِعَ، أو سقط على الأرض من قيام. المعجم الوجيز (٢/٨٤٦).

عليها ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: "**فذلك سعي الناس بينهما**". فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا، فقالت: صه.. تريد نفسها، ثم تسمَّعت، فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت، إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه [أو قال: بجناحه] حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم** [أو قال: **لو لم تغرف من الماء**]؛ **لكانت زمزم عينًا معينًا**. قال: فشربت، وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن ها هــنا بيت الله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله"[(1)].

إذن هذه وصية من جبريل عليه الصلاة والسلام لأهل بيت الله وحرمه، وسكان بلدته الطيبة الطاهرة المقدسة المباركة: ألاّ يخافوا الضَّيعة؛ لأن ثمة بيت الله تعالى.

(1) رواه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

- **المدينة المنورة:**

- **حرمة المدينة:**

يقول النبي ﷺ: "**المدينة حرم ما بين عَير إلى ثَور**[1]**، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرفٌ ولا عدلٌ**"[2].

وعن سهل بن حنيف ﷺ قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة فقال: "**إنها حرمٌ آمن**"[3].

- **فضل الصبر على شدتها:**

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **لا يصبر على لأواء**[4] **المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدا**"[5]. فحُمّى المدينة قد تصيب من يسكنها ويهاجر

(1) عير وثور: اسما جبلين من جبال المدينة.

(2) رواه البخاري (١٨٦٧،٦٧٥٥) ومسلم (١٣٧٠،١٣٧١) من حديث علي ﷺ.

(3) رواه مسلم (١٣٧٥) من حديث سهل بن حنيف ﷺ.

(4) اللأواء: الشدة. مختار الصحّاح (ص٢٤٥).

(5) رواه مسلم (١٣٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

إليها، فيعده النبي ﷺ حين يصبر على لأوائها وشدتها أن يكون له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة، وإنه لفضل عظيم، مع أنه ﷺ دعا بنقل حمّاها إلا الجحفة.

- **المدينة تنفي خبث الناس:**

يقول الرسول ﷺ -كما في حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما-: "**المدينة كالكير، تنفي خبثها، وينصع طيبها**"[1]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ: " **ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد**"[2]؛ ولذلك فإن المنافق لا يكاد يقرّ له بالمدينة قرار، ولا يطيب له فيها دار، فهو فيها كالسجين، وكالطير فى القفص، يحاول منها الفرار.

- **المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون:**

ولما ذكر النبي ﷺ أن الناس في آخر الزمان يخرجون من المدينة إلى الشام، وإلى العراق، وإلى غيرها _ قال عليه الصلاة والسلام

(1) رواه البخاري (١٨٨٣،٧٢٠٩)، ومسلم (١٣٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

(2) رواه مسلم (١٣٨١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

في الحديث المتفق عليه: **"والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون"**[1].

- **قرية تأكل القرى:**

فى الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"أُمِرتُ بقرية تأكل القرى[2]، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس[3]، كما ينفي الكير خبث الحديد"**[4].

لقد كان مُهَاجَره ﷺ مدينة طيبة مباركة مشرفة، تأكل القرى، يسموها **"يثرب"** كما قال المنافقون: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ ﴾ [الأحزاب:١٣]، وهى كما سماها النبي ﷺ **"طابة"**[5].

- **المدينة ومكة محرمتان على الدجال:**

فى الصحيحين أن النبي ﷺ قال: **"على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال"**[6]، أي أن على أبواب المدينة

---

(1) رواه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨) من حديث سفيان بن أبي زهير ﷺ.

(2) تأكل القرى: يغلب أهلها أهل سائر البلاد، وتكون مركز جيوش الإسلام، وتجلب إليها الغنائم والأرزاق.

(3) تنفي الناس: تخرج الأشرار من بينهم.

(4) رواه البخاري (١٨٧١) ومسلم (١٣٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(5) رواه البخاري (١٤٨٢،١٨٧٢)، ومسلم (١٣٩٢) من حديث أبي حميد الساعدي ﷺ.

(6) رواه البخاري (١٨٨٠،٧١٣٣) ومسلم (١٣٧٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وطرقها ملائكة يحرسونها، فلا يدخلها مرض الطاعون، وباءً عامًّا يفشو فيها -كما يفشو فى البلاد الأخرى- ولا يدخلها المسيح الدجّال.

وعن أبى بكرة ﷺ أن النبي ﷺ، قال: **"لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان"**[1].

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها، إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينـــزل بالسَّبَخَة[2]، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق"**[3].

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: **"يخرج إليه منها كل كافر ومنافق"** _ درسٌ عظيم، وعبرة جليلة؛ وذلك أنه حتى فى الزمان الذي يخرج فيه الدجال -وهو أكثر الأزمنة ظلمة وسوادًا،

---

(1) رواه البخاري (١٨٧٩،٧١٢٥،٧١٢٦) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(2) السبخة: أرض ذات ملح ونزّ، لا تكاد تُنبت. المعجم الوسيط (٤٢٨/١).

(3) رواه البخاري (١٨٨١،٧١٢٤)، ومسلم (٢٩٤٣) وهذا لفظه، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وفسادًا وفتنة- حتى فى ذلك الزمان، يكون فى المدينة المنورة أناس كثيرون، يحتاجون إلى النفاق، ولا يستطيعون أن يجاهروا بكفرهم وفجورهم وردهم؛ وذلك لظهور الخير، ولكون الشوكة للمؤمنين الصالحين، فيلجأ الكفرة والمرتدون إلى الاستتار، خوفًا على مصالحهم وأنفسهم، فإذا جاء الدجال كشفوا عن حقيقتهم، ودخيلة نفوسهم، ومآربهم السيئة، وكشّروا عن أنيابهم، وخرجوا إلى الدجال في سبخة من السباخ المحيطة بالمدينة.

- **فى المدينة بقعة من الجنة:**

ويكفي المدينة شرفًا وفضلاً، ومكانة وبهاءً أن النبي ﷺ بين أن فيها بقعة من بقاع الجنة -كما في حديث عبد الله بن زيد ﷺ- أن النبي ﷺ قال: **"ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة"**[(١)]، وفي رواية أبيهريرة ﷺ: **"ومنبري على حوضي"**[(٢)]، فهذه البقعة من مسجده عليه الصلاة والسلام روضة من رياض الجنة، وهى اليوم تسمى "الروضة النبوية".

---

(1) رواه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(2) رواه البخاري (١١٩٦، ١٨٨٨، ٦٥٨٨)، ومسلم (١٣٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

- **أرض الحجــاز:**

أشواقُنا نحوَ الحجـــازِ تطلعتْ
كحنين مغتربٍ إلى الأوطان

إن الطيور وإن قصصت جناحَها
تسمو بفطـــرتها إلى الطـــيران

إن من الأماكن الفاضلة المصطفاة بلاد الحجاز فى الجملة، حتى لقد قال فيها النبي ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه مسلم: **"إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرزُ**[(١)] **بين المسجدين، كما تأرز الحيةُ في جُحرها"**[(٢)]، أى: بين مسجدَيْ مكة، والمدينة. إذًا فالدين يجتمع ويرجع إلى بلاد الحجاز: إلى مكة، والمدينة، وما بينهما.

وفي حديث جابر الذي رواه مسلم -أيضًا- أن النبي ﷺ قال: **"غِلَظُ القلوب والجفاء فى المشرق، والإيمانُ في أهل الحجاز"**[(٣)]،

---

(1) أى ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض. مختار الصّحاح (ص٦).

(2) رواه مسلم (١٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(3) رواه مسلم (٥٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

هكذا حكم النبي ﷺ بأن أرض الحجاز مأوى للمؤمنين، يأوون إليها مرة بعد أخرى، وبأن الإيمان في أهلها أكثر.

ولا شك أن هذه التزكية ليست مطلقة؛ لأن أهل الحجاز -حتى في عهد النبي ﷺ- كان فيهم كفار معاندون، ومنافقون مستترون، وكان فيهم فسّاق...، ولكن الغالب عليهم يومئذ هو الإيمان، وسيظل الحجاز من مواطن الإسلام حتى في أزمنة الغربة.

❑ اليمــــن:

من الأماكن الفاضلة: اليمن، وهى جزء من جزيرة العرب، وقد ورد في فضلها عدة أحاديث، ومن ذلك: الحديث المتفق عليه الذي رواه أبوهريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **"أتاكم أهل اليمن، هم أرقّ أفئدة، وألين قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية"**[(١)]، وفي رواية: **"الفقه يمانٍ، والحكمة يمانية"**[(٢)].

واليمن يشمل مواقع عديدة، فحتى أهل المدينة هم فى الأصل من اليمن، وكذلك ما تيامَن عن الكعبة فهو يُعَدّ من اليمن، وليس

(1) رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(2) رواه البخاري (٤٣٩٠)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

اليمن مقصورًا على البقعة الجغرافية التي تسمى اليوم بــ (اليمن)، وإن كانت هذه الرقعة الجغرافية داخلة فيه دون شك.

❑ الشــــام:

حكم الرسول ﷺ لبلاد الشام وأهلها بالفضل، فقد ورد في ذلك عدة أحاديث، منها ما رواه أصحاب السنن من قوله ﷺ: **"إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم"**[(١)].

وذكر عليه الصلاة والسلام فضائل أخرى للشام؛ بل جاء في صحيح البخاري عن معاذ ﷺ أنه قال عن الطائفة المنصورة: "هم بالشام"[(٢)].

وقد صنف في فضائلها عدد من أهل العلم كتبًا خاصة، كالإمام الربعي وابن الجوزي.

* * *

(1) رواه أحمد (١٥١٧٠،١٥١٦٩)، والطيالسي (١٠٧٦) والترمذي (٢١٩٢) من حديث قرة بن إياس ﷺ، وقال الترمذي حسن صحيح.

(2) أخرجه البخاري (٣٦٤١) عن معاذ ﷺ.

الفصل الثاني

الجزيرة العربية وما ورد في فضلها

جاء ذكر الجزيرة العربية "**جزيرة الإسلام**" في أحاديث عدة، وتلك الأحاديث على نوعين:

❑ **النوع الأول: ما يتعلق بمنع سكنى غير المسلمين فيها:**

وردت نصوص صريحة في أن النبي ﷺ حكم لهذه الجزيرة – عاصمة الإسلام– بأنها تتميز عن كل بلاد الدنيا بحكم خاص، وهو أنه لا يجتمع فيها دينان، ولا يُساكن الإسلام فيها ملةٌ أخرى: لا يهودية، ولا نصرانية، ولا مجوسية، ولا وثنية، ولا غيرها...

وما ذلك إلا لأنها المنطلق الأول والأخير للإسلام؛ ولأن الله تعالى كتب أن تكون في هذه الجزيرة (الدار)، كما قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر:٩]، فهي دار الإيمان وبلاده، وأرضه التي يأوى إليها أهل الإيمان من كل مكان، وفي كل زمان.

فمن هذه النصوص:

● حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: يومُ الخميس، وما يومُ الخميس! ثم بكى حتى خَضَبَ دمعُهُ الحَصبَاءَ[1]، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: "**ائتونى بكتابٍ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**"، فتنازعوا –ولا ينبغى عند نبي تنازع– فقالوا هَجَرَ رسول الله ﷺ. قال: "**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**". وأوصى عند موته بثلاث:

"**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**".

"**أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**". أى: أعطوا الوفود التي تأتي تبايع على الإسلام مثل ما كنت أعطيهم.

قال الراوي: ونسيتُ الثالثة[2]. ورجح كثير من أهل العلم أنها الأمر بإنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، الذي وجّهه النبي ﷺ إلى الشام.

(1) الحصباء: صغار الحجارة. المعجم الوسيط (١/١٨٤).

(2) رواه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

● وفي حديث عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"لأُخرِجَنّ اليهود والنصــارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع فيها إلا مسلمًا"**(١). وفي رواية عند الترمذي: **"لئن عشتُ –إن شاء الله– لأُخرِجَنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب"**(٢).

● وعائشة رضي الله عنها تقول: آخر ما عهد النبي ﷺ **"لا يُترك بجزيرة العرب دينان"**(٣).

ومعنى الحديث: أن جزيرة العرب هى جزيرة الإسلام، فلا يُساكنه فيها دين آخر أبدًا، فهي أرض طيبة ومباركة، خالصةً للمؤمنين من دون الناس!

● وفي حديث أبي عبيدة ﷺ: آخر ما تكلم به النبي ﷺ في مرض موته: **"أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب"**(٤).

---

(1) رواه مسلم (١٧٦٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(2) رواه الترمذي (١٦٠٦) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(3) رواه أحمد (٢٥٨٢٠)، والطبراني في الأوسط (١٠٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤/٥) وقال: رجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع. اهـــ.

(4) رواه أحمد (١٦٩٦)، والدارمي (٢٤٩٨)، من حديث أبي عبيدة ﷺ، وهو حديث صحيح.

إذًا، نصَّ النبي ﷺ على إخراج المشركين واليهود والنصارى من جزيرة العرب، وبالذات يهود الحجاز؛ لأنهم كانوا في خيبر ونحوها، وكذلك النصارى كانوا في نجران، فكذلك لا يجوز أن يسكن اليهود والنصارى في تلك الديار، ولا أن يلوّثوا بشركهم وكفرهم وفساد ظاهرهم وباطنهم هذه البقاع الطاهرة المطهرة.

● وروى مالك فى الموطأ عن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"**(١).

هذا هو النوع الأول من النصوص الواردة فى الجزيرة. وهي المتعلقة بمنع سكن غير المسلمين فيها.

❑ **النوع الثاني: ما يتعلق بحفظ الإسلام علىأرض الجزيرة:**

● روى مسلم عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم"**(٢)، وقد جاء الحديث نفسه عن جماعة من الصحابة ﷺ، منهم

---

(1) رواه مالك فى الموطأ (١٦٥١) عن عمر ﷺ، وإسناده مرسل، إلا أن معناه قد ورد في أحاديث أخرى صحيحة وقد تقدم طرفٌ منها.

(2) رواه مسلم (٢٨١٢) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

أبو هريرة وجرير وأبو الدرداء وأُبيّ بن كعب وعبادة بن الصامت وغيرهم.

وهذا الحديث يحتمل عدة معانٍ:

الأول: أن يكون اليأس المقصود من الناس الذين في عهد النبي ﷺ وأسلموا؛ فإن الشيطان لما رأى انتشار الإسلام وعزته وقوته يئس من رجوع الناس عن دينهم، واستسلم للأمر الواقع.

الثاني: أن يأس الشيطان متعلق بالمصلين، فالمصلون روّاد المساجد، قد يئس الشيطان منهم أن يعبدوه ويشركوه في عبادة الله تعالى، ولكنه رضي منهم بما دون ذلك، وهو التحريش بينهم، بإثارة العداوات والبغضاء، وملء القلوب بالإحَن[1] والضغائن، وهذا هو الأمر الذي تسلط به الشيطان على المؤمنين في هذه الجزيرة وفي غيرها، فإننا نرى المؤمنين وطلبة العلم -في كثير من الأحيان- يكون في قلوبهم الحسد، أو البغضاء، أو سوء الظن، ويكون بينهم القيل والقال، وغير ذلك من الأمور التي يوقد الشيطان نارها في قلوب المصلين، ويرضى منهم بذلك.

(1) الإحْنة: الحقد. مختار الصحاح (ص٣).

الثالث: أن يأس الشيطان كان في وقت من الأوقات، ولكن عاوده الأمل بعد ذلك، لما رأى من الطواعية له من بعض المنتسبين إلى الإسلام في عبادته وطاعته.

الرابع:أن الشيطان قد يئس أن يعبده أهل الجزيرة، ويكون المراد بعبادته هنا: العبادة المعهودة للمخاطبين، وهو ماكان عليه الحال قبل البعثة من إطباق الشرك على جزيرة العرب، فقد يئس الشيطان بعد بعثة محمد أن يعود أهل الجزيرة عن الإسلام الذي دخلوه ، وأن يرتدوا كلهم عنه، وأن ترجع بلادهم بلاد كفر ، وإن وجد في بعضهم رِده، فإن ذلك لايعم ولايدوم، وفي هذا بشرى نبوية أن هذه الجزيرة ستبقى متمحضة لعبادة الله عزوجل، وأن الشيطان قد حكم عليه بالحرمان أن تعود هذه الجزيرة دولة له بعد أن حررها محمد صلى الله عليه وسلم، وأن حكم الله القدري النافذ على هذه الجزيرة أنها خالدة للإسلام،وأن أهلها لن يستبدلوا به ديناً مادامت السموات والأرض، وأنها معصومة أن يصيبها ماأصاب بلاداً حكمها الإسلام قروناً ثم دالت للكفر- وليست الأندلس المثال الوحيد- فلهذه الجزيرة وأهلها حال وشأن ليس لغيرها، فإن الشيطان الذي أقسم ليحتنكن ذرية آدم

أجمعين لايمكن أن ييأس إلا من أمر نافذ لا حيلة له فيه، "والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون".

وإذا كان هذا حال الشيطان فإن أتباعه وجنوده من الإنس سينتهون إلى نفس النتيجة، وهي اليأس بعد كل محاولة شيطانية تنتهي بالحبوط.

وهذا هو القول الراجح من حيث مناسبة الحال وشواهد التاريخ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام بعد أن استقادت الجزيرة كلها للإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فبين النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع أن هذا دخول في الإسلام وتحرير من دولة الشيطان لا رجعة عنه ولارجوع ، ثم توالت حقب التاريخ تشهد لهذه البشرى النبوية إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب**

مروجًا وأنهارًا"[١].

وقوله عليه الصلاة والسلام: **"حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا"**. يحتمل عدة أمور:

الأول: أن يكون المقصود أن الناس ينشغلون في بعض الأزمنة بالحروب والمعارك والفتن ونحوها، عن الأرض والمزارع والمياه وما شابهها، فيهملونها؛ فتكون أنهارًا تسيح، ليس هناك أحد يهتم بها. ذكر ذلك النووي[٢]، وهو بعيد.

الثاني: أن يكون ذلك بسبب عناية الناس بالزراعة، وحفرهم للآبار والعيون، وشقّهم للترع ونحوها، وزرعهم للأرض. وهذا هو ما نجد بوادره الآن في هذه الجزيرة، حيث اشتغل كثير من أهلها بالزراعة، واخضرت كثير من صحاريها الجرداء. وهذا داخل - والله أعلم- في معنى الحديث.

الثالث: -وهو من أقوى الاحتمالات- ما ذكره جماعة من العلماء المتخصصين المعاصرين من أنّ هناك احتمالاً كبيرًا أن

(1) رواه مسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(2) انظر شرح مسلم للنووي (٩٧/٧).

تتحول الجزيرة فعلاً إلى أرض ذات مروجٍ وأنهارٍ وجوٍّ لطيف. فإن كثيرًا من العلماء يتوقعون أن يؤثر الزحف الجليدي القادم من جهة الشمال إلى الجزيرة العربية على مناخها؛ فيتسبب في تلطيف هوائها، وحسن جوها، ومزيد اعتداله؛ ونتيجة لذلك سيكون هناك بمشيئة الله – في هذه الجزيرة– مروج وأنهار حقيقية، كما كانت موجودة من قبل، وذلك ما يشعر به قوله ﷺ: **"حتى تعود جزيرة العرب.."**، فقوله: **"تعود"** قد يدل بظاهره على أن الجزيرة كانت مروجًا وأنهارًا في غابر الزمان، وستعود كما كانت، والله تعالى قادر على أن يفجر فيها الأنهار والعيون، ويحوّل جدبها إلى خصب، ويجعل أراضيها الجرد القاحلة رياضًا خضراء، إنه على كل شيء قدير، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:٦٨].

● وروى مسلم عن نافع بن عتبة ﷺ أن النبي ﷺ قال لأصحابه: **"تغزون جزيرة العرب؛ فيفتحها الله، ثم فارس؛ فيفتحها الله، ثم تغزون الروم؛ فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال، فيفتحه الله"**[1].

فذكر النبي ﷺ في هذا الحديث أربعة أمور:

(1) رواه مسلم (٢٩٠٠) من حديث نافع بن عتبة ﷺ.

أولها: أنهم يغزون جزيرة العرب، وهكذا كان فعلاً، فإنهم غزوها، حتى لم يمت النبي ﷺ إلا ومعظم الجزيرة خاضع لحكم الإسلام، وجاءت الوفود من كل مكان، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وزالت غربة الإسلام، واستوثق أمره في هذه الجزيرة المباركة.

ثانيها: أنهم يغزون فارس بعد ذلك، وفعلاً غزوها، ففتحها الله، وكان من قادة فتوحها: سعد بن أبي وقّاص ﷺ قائد معركة القادسية.

ثالثها: أنهم بعد ذلك يغزون الروم، وهذا ما حدث، فقد غزوا بلاد الروم، ولا زالت الحروب مع الروم قائمة إلى اليوم، وإلى أن يشاء الله؛ بل إن الملاحم الكبرى التي ذكرها النبي ﷺ في حديث ذي مِخْمَرَ ﷺ عند أبي داود[1] وغيره إنما هي حروب

(1) روى أحمد (١٦٣٨٤)، وأبو داود (٤٢٩٢)، وابن ماجه (٤٠٨٩)، وابن حبان (٦٧٠٨ ، ٦٧٠٩) والحاكم (٨٢٩٨)، من حديث ذي مِخْمَر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"تصالحون الروم صلحًا آمنًا حتى تغزوا أنتم وهم عدوًا من ورائهم، فتنصرون، وتغنمون، وتنصرفون حتى تنــزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبهم –وهو بعيد– فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه،**

طاحنة مع الروم.

رابعها: بعد ذلك يكون غزو الدجال، وهو في آخر الزمان -قبل قيام الساعة- وهو الموعود الذي تنتظره يهود، وعلى يديه يجتمعون ويغزون جزيرة العرب، ثم يرتد ويرتدون معه خاسئين منهزمين.

هذه أربع مراحل في تاريخ هذه الأمة، ذكرها النبي ﷺ. وظاهر مما ذكره أن جزيرة العرب هى أول ما يُفتح للإسلام ويجتمع عليه أمر هذا الدين، ثم هي منطلق الجنود البواسل، الذين يغزون فارس، ويغزون الروم، ويغزون الدجال.. وهكذا كان، وهكذا يكون.

- ما رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد ﷺ: " أن النبي ﷺ خرج عليهم يومًا وهم يتذاكرون الساعة، فقال: **ماذا تذاكرون؟** قالوا: نتذاكر الساعة، قال ﷺ: **إنها لن تقوم حتى**

ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا". وهذا لفظ ابن حبان، والحديث صححه الحاكم، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٦١٢).

ترون قبلها عشر آيات، فذكر ﷺ: **الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب**"(١). فأخبر ﷺ أنه سيكون في جزيرة العرب خسف في آخر الزمان -قبل قيام الساعة- ولعل هذا الخسف الذي ذكره النبي ﷺ هو الخسف الذي بيّنه في حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وغيرهما -وهو في الصحيحين- أن النبي ﷺ قال: "**يعوذ عائذٌ(٢) بالبيت، فيُبعَثُ إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداءَ(٣) من الأرض خُسِفَ بهم**"(٤).

وفي رواية أن عائشة رضي الله عنها قالت: "عبث(٥) رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعتَ شيئًا في منامك لم تكن تفعله! فقال: **العجبُ أن ناسًا من أمتي يؤمُّون بالبيت**

(1) رواه مسلم (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد ﷺ.

(2) يعوذ عائذ: يعتصم معتصم.

(3) البيداء: كل أرض ملساء لا شيء فيها، وقال الأزهري أنها بين المسجدين، وكذا قال ابن منظور أنها بين مكة والمدينة. انظر: لسان العرب (٩٩/٣).

(4) رواه البخاري (٢١١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٢٨٨٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(5) عبث: اضطرب بجسمه، وقيل: حرك أطرافه.

برجل من قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم. فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس. قال: **نعم، فيهم المستبصر**[1]**، والمجبور**[2]**، وابن السبيل، يهلكون مَهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم"**[3].

وفي رواية: **"لَيَؤُمَّنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأوسطهم، وينادي أولهم آخرهم، ثم يُخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبر عنهم"**[4].

إذًا فالمصطفى ﷺ، يُخبر أن الله تعالى يسخر الأرض لنصرة قوم من أوليائه وحزبه، يعتصمون بالبيت، ليس لهم منعة ولا عُدة ولا عدد، ولكن لديهم ثقة بالله تعالى، فيؤمهم قوم يغزونهم ويقاتلونهم، أقوى منهم، فيسلط الله عليهم الأرض فتبتلعهم عن آخرهم، فهذه التربة الطيبة ستظل – عبر التاريخ – مقبرة للغزاة

---

(1) المستبصر: المستبين لذلك.

(2) المجبور: أى المكره، لغة فى المجبر.

(3) رواه مسلم (٢٨٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(4) رواه مسلم (٢٨٨٣) من حديث حفصة رضي الله عنها.

لا يريدها أحدٌ بسوءٍ إلا أهلكه الله المنتقم الجبار.

* * *

الفصل الثالث

موقع الجزيرة ومميزاته

غالب أقوال أهل العلم في حدود الجزيرة، تشمل معظم الجزيرة المعروفة اليوم جغرافيًا.

فمثلاً الإمام أحمد يعدّها مكة والمدينة وخيبر وينبع وفَدَك وما والاها، وهكذا يقول الشافعي.

ويقول سعيد بن عبدالعزيز: ما بين وادي القرى إلى أقصى اليمن، إلى تخوم العراق إلى البحر.

ويقول الأصمعي: ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق، ومن جدة إلى أطراف الشام.

وقال مالك: هي مكة والمدينة، واليمامة واليمن.

ويقول الخليل بن أحمد: إنما قيل لها: الجزيرة؛ لأن بحر الحبش (البحر الأحمر) وبحر فارس (الخليج العربي) والفرات، قد أحاطت بها.

هذه هى حدود الجزيرة.

والواقع أنها ليست جزيرة كاملة، وإنما هى شبه جزيرة؛ لأن

البحر يحدها من ثلاث جهات تقريبًا، وليس محيطًا بها من جميع الجهات، والعرب تسميها جزيرة، أما لفظ (شبه جزيرة) فهو مصطلح.

وهى أكبر شبه جزيرة فى العالم، فليس هناك شبه جزيرة في كِبَر مساحة جزيرة العرب واتساع رقعتها.

- **ميزات هذا الموقع:**

هذه الجزيرة التي اختارها الله تعالى لتكون دار الإسلام، ومأوى المؤمنين، تتمتع بعدة ميزات لا تجتمع في غيرها من البلاد، منها:

- **أنها وسط في الأرض كلها:**

فكأننا –نحن المسلمين– سرنا فى البسيطة، حتى إذا صرنا في مركز الأرض قعدنا، وقلنا: هذا هو موقعنا الذي اختاره الله لنا: جزيرة العرب.

والدراسات الحديثة اليوم تثبت أن مكة المكرمة هى مركز الأرض، أى أن اليابسة محيطة بمكة من جميع الجهات بنسب متعادلة منتظمة. ومن ذلك ما كتبه أحد المتخصصين في علم المساحة، وهو الدكتور/ حسين كمال الدين، فى العدد الثاني من

مجلة البحوث الإسلامية، التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فقد نشر بحثًا طويلاً أثبت بالأدلة والأرقام أن مكة هى مركز الكرة الأرضية، وأن أطراف الكرة الأرضية -القطب الشمالي والجنوبي- بالنسبة إلى مكة تعد أطراف دائرة.

ومن العجيب أن الفقهاء المتقدمين ذكروا أن هناك يومًا فى السنة لا يكون للأشياء فيه ظل في مكة عند الزوال؛ لأن الشمس تكون عمودية تمامًا على مكة، مما يدل على أن مكة هى مركز الأرض ووسط الدنيا؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى:٧]، قال بعض أهل العلم: لأن الدنيا كلها حول أم القرى.

ولا شك أن النبي ﷺ بُعث لِيُنذر الدنيا كلها، لا لينذر الجزيرة العربية فحسب، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- **طبيعتها الصحراوية:**

إن الطبيعة الصحراوية لأرض الجزيرة العربية عكست عليها آثارًا إيجابية عديدة، منها:

أنها جعلتها بمنجاة من كيد الغزاة، وأطماع المحتلين، فإن الله

تعالى حمى هذه الجزيرة بقفارها الواسعة، ورمالها الممتدة، وجعلها مقبرة للغزاة الذين يكيدون لها منذ فجر التاريخ.

كما أن الله تعالى حماها بتلك الطبيعة من تأثير الحضارات المادية، والتاريخ والواقع يشهد بأن تأثير تلك الحضارات على الجزيرة هو أقل تأثير.

ففى الماضي -مثلاً- كانت هناك حضارة الفرس والرومان واليونان والهند والصين وغيرها من الحضارات الضالة، وكانت الجزيرة بعيدة عن تلك الحضارات كلها، لا تدري ماذا يدور فى الدنيا.

وأما فى الحاضر فمع أن هذه الجزيرة -بلا شك- قد تأثرت بالحضارات المادية المعاصرة، ووجد من أبناء الجزيرة من تأثر بحضارة الشرق؛ فأصبح يدين بمبدأ الشيوعية -مثلاً- ومن تأثر بحضارة الغرب؛ فرفع راية العلمانية، وأخذ ينادي بفصل الدين عن الحياة: عن السياسة، وعن الاقتصاد، وعن التعليم، وعن شئون المرأة... وغير ذلك، ويدعو إلى جعل الدين محصورًا فى المسجد.

لا شك أن هؤلاء وُجِدوا، ولا تزال رياح الفساد والتغيير تهب على هذه الجزيرة من كل مكان، وهذا أمر لسنا نجهله،

وينبغى أن يكون دائمًا على بالنا، وألا ننخدع ونغفل، ونستنيم بالثناء والإطراء للجزيرة. ولكن مع ذلك كله فإن من العدل أن ندرك أن هذه الجزيرة لا تزال هى أطهر بقعة فى الدنيا، لا تزال نموذجًا فريدًا بين بلاد الأرض.

ولو أردتُ أن أتحدث عما تتمتع به الجزيرة اليوم من تميُّز لطال المقام، ولستُ أريد بذلك أن نبالغ في مدح هذه الجزيرة والثناء على أهلها، حتى كأننا لا نريد أن نصنع شيئًا، ولا أن نصلح فى المجتمع.. لستُ أريد هذا، فإن الله تعالى ليس بينه وبين أحد سبب إلا التقوى، فالعربي والعجمي، والقرشي وغير القرشي، وساكن الجزيرة وغير ساكنها ــ كلهم في ميزان الله ﷻ سواء: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وليس لنا أن نقول: هذا بلدنا، وما عداه فليس من بلادنا، وإن كان من أقطار المسلمين، كلا؛ فكل بلاد المسلمين لنا وطن:

أنــا عــالميّ ليــس لي
أرض أُسمِّيهــا بــلادي

وطني هنــا أو قُل هنــا
– لكَ حيثُ يبعثها المنادى

فالقفرُ أحــلى من رياضٍ
في رُبــاها القلب صادى

ويقول آخر يعبر عن هذا المعنى:

ولست أبغي سوى الإسلام لي وطنًا
الشامُ فيه ووادي النيل سيــان

وحيثما ذكــر اســم الله في بلــدٍ
عددتُ أرجاءه من لُبِّ أوطاني

إن هذه الصحراء جعلت شعوبها قوية أبيّة، لا تحمل الضيم، ولا تقبل الذل، ولا تعطي الدنية في دينها بأي حال من الأحوال.

إن الشعوب التي نشأت فى الصحراء، وتحملت شظف العيش فيها من القوة والشهامة والأنفة والعزة والكرم الشيء الكثير؛ ولذلك يقول الرافعي رحمه الله:

إنما الإسلام فى الصَّحْرا امتــهد
لايجيء كــل مســلم أســد

ليس كالمسلم فى الخَلْق أحــد
ليس خَلْق اليوم؛ بل خلق الأبد

حقًا ليس كالمسلم أحد، وبخاصة حين يكون قد نشأ فى الصحراء، وتربّى على القوة والرجولة والفتوة، بعيدًا عن زخارف الحضارة وليونتها ولذاتها ومادياتها.

وهذا محمد إقبال ينادي:

أمةَ الصحراءِ يا شعبَ الخلود
مَن سِواكم حلَّ أغلالَ الورَى
أيُّ داعٍ قبلكم في ذا الوجود
صاحَ: لا كسرى هنا، لا قيصرا
من سواكم في حديثٍ أو قديم
أطلــعَ القرآن صُبحًا للرشـــاد
هاتفًا في مسمع الكون العظيم:
ليـــس غيـــر الله ربًا للعبـــاد
لا تقـــل أين ابتكار المسلمين
وسَلِ (الحمراء) واشهد حُسْن تاج
دولةٌ ســـار ملـــوكُ العـــالمين
نحوها طَوعـــًا يؤدون الخـــراج

دولـــة تقـــرأ في آيـــاتها
مظهـــر العزة والملك الحصـــين
وكـــنوز الحـــق في طيّاتـــها
دونها حارت قلـــوبُ العارفين
فكِّروا في عصـــركم وانتبهوا
طالمـــا كنـــتم جمالاً للعُصُـــر
واملأوا الصحراء عزمًا وانشروا
مرةً أخـــرى بهـــا روح عُمَـــر

- **خيرات أرضها وكنوزها:**

إن الله ﷻ أودع في هذه الأرض كنوزًا وخيرات كثيرة، وجعل فيها خزائن الأرض:

فإنّ هذه الجزيرة تقوم على خزّان من النفط، والنفط – اليوم – هو أعظم ثروة مادية تقوم عليها الحياة البشرية، فلا يمكن أن يستغني الناس اليوم فى الشرق أو الغرب عن تلك الثروة؛ لأن اقتصادهم وصناعاتهم ووسائل مدنيَّتهم بشتى أنواعها مبنيةٌ على الثروة النفطية.

إن (٧٠%) من نفط العالم يقع في هذه البلاد وما حولها، وأما بلاد الأرض كلها - على سعتها وترامي أطرافها- فليس فيها إلا قرابة (٣٠%) من ذلك النفط.

ولذلك جاء فى الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"بُعثتُ بجوامع الكلم، ونُصِرتُ بالرُّعب. فبينا أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض، فوُضِعَتْ في يدي"**. قال أبوهريرة: "وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها"[1]، تستخرجونها من مواضعها.

لقد كان الناس يظنون أن ثروة الأرض وخزائنها هي الذهب والفضة، فإذا بهم يجدون هذه الثروة الخفية في باطن الأرض، التي أصبح الذهب والفضة لا يُعدّان عندها شيئًا. وهذا الخبر علَمٌ من أعلام نبوّته ﷺ.

ووجود هذه الثروة الهائلة في جزيرة الإسلام مصدر إزعاج كبير لأعداء هذه الأمة من الغربيين والشرقيين، حتى بلغت بهم الوقاحة أن يعترضوا على الله تعالى الذي أودع تلك الثروة لدى

(1) رواه البخاري (٢٩٧٧،٧٠١٣،٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ

هؤلاء البدو -كما يقولون-، ولكن... ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص:٦٨،٦٩].

إنهم يسخرون من أهل هذه الجزيرة، ويدبّرون لها المكائد، ولكن الله ﷻ لهم بالمرصاد.

إن الأمة يوم تتمكن من التحكم الحقيقي بالخيرات التي أودعها الله فيها ستكون -بدون شك- هي القائمة على الأمم، القادرة على قيادة البشرية وتوجيه مسيرتها، ونشر دين الله في أرجاء الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، وإن غدًا لناظره قريب.

- **أجسام أهلها تتأقلم مع كل الأجواء:**

ومن طريف ما تتحدث عنه بعض النظريات الفسيولوجية: أن جزيرة العرب -بحكم وجودها فى المنطقة المتوسطة بين الشرق والغرب- فإن جوها معتدل نسبيًا؛ ولذلك فإن أجسام أهلها تُناسب جوّها، وتستطيع التكيّف مع الأجواء الأخرى فى المناطق الحارة، والمناطق الباردة، فكأن أهلها قد هُيئوا لحكم الدنيا كلها، وبالتالي صارت أجسامهم تتأقلم مع كل الأجواء وكل البيئات، وهذا بخلاف الذين يعيشون -مثلاً- فى المناطق الباردة -كأهل

البلاد الأمريكية- فإنهم لا يستطيعون التكيف مع جوّ هذه الجزيرة؛ ولذلك فإنهم إذا جاءوا إليها فسرعان ما تتأثر سَحَناتُهم[1] ووجوههم وتتغير ملامحهم؛ بل بعد فترة ينتقل التأثير إلى أجهزة أجسامهم، فلا يستطيعون البقاء فيها طويلاً.

إذًا فهذه ميزة لأهل الجزيرة تمكنهم من غزو بلاد الدنيا كلها؛ لنشر دين الله ﷻ في أنحائها، فهم يستطيعون أن يعيشوا في كل الأجواء فى البلدان المختلفة.

- **أن هذه الجزيرة تتمتع بموقع استراتيجي مهم:**

فهي تمسك بخناق العالم كله، وتتحكم بطرق تجارته، من حيث كونها حلقة الوصل بين البلدان المختلفة، فهي تربط بين القارات، وتهيمن على عدد من الممرات المهمة التي يُعدّ إيقافها قطعًا لشريان الحياة بين الأمم كلها.

- **وفيها هذه الشمس التي تُشرق بالنور والدفء والحرارة والتوقد:**

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ:١٣]، وتلك

(1) السَّحَنة: الهيئة، وقد تسكن. مختار الصحّاح (ص١٢٢).

الشمس وحرارتها مصدر لخيرات كثيرة:

فهي وقاية -بإذن الله تعالى- من كثير من الأمراض والأوبئة؛ لأنها تقضي على كثير من الجراثيم والآفات الموجودة فى الهواء وفي غيره، وتحلل الرطوبة الضارة.

وهي سبب في ظهور نباتات كثيرة، وازدهار أنواع عديدة من الزراعة؛ لذلك فإن البلاد الحارة تكون بيئة صالحة لزراعة كثير من المنتجات المهمة، كالليمون الذي يقول الغربيون: لو كان عندنا ما احتجنا إلى المستشفيات.

وهي كذلك مصدر للطاقة؛ حيث يمكن تخزين أشعة الشمس للانتفاع بها فى الإضاءة، والتدفئة، والتهوية، والزراعة، والصناعة، وغيرها.

والغربيون يحسدوننا على هذه النعمة التي حبانا الله تعالى إياها ومتّعنا بها، وهذا هو دأبهم تجاه كل خير يمسّ المسلمين. ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران:١٢٠].

إن الجزيرة العربية بمجمل هذه المميزات تستطيع أن تستغني عن الدنيا كلها، تستطيع أن تستغني بثرواتها، وخيراتها، وشمسها، وجوّها وموقعها.. عن كل أمم الأرض، ولكن.. هل تستطيع الدنيا أن تستغني عن هذه الجزيرة؟! كلا.. لا تستطيع؛ إن هذه الجزيرة تملك قبل كل شيء أمرًا أعظم من ذلك كله، ألا وهو أن توصل الهداية إلى البشرية، أن تحمل هذا النور إلى العالمين كافة، أن تبلّغ ذلك الدين الذي كلف الله تعالى المسلمين قاطبة بنشره بين الأمم التي لا تملك إلا التيه والضياع والضلال والدمار والبوار.

ثم تملك من خزائن الدنيا ومفاتيح الحضارة والاقتصاد ما لا يملكه العالم كله من أقصاه إلى أقصاه!

* * *

الفصل الرابع

فضل العرب وقبائلهم وبلاؤهم فى الإسلام

إنني لست من القوميين الذين يقدّمون العرب، ويمدحونهم، ويفضّلونهم على كل الأجناس، سواء أكان أولئك العرب مسلمين أم يهودًا أم نصارى –حاشا لله–؛ فإن تلك القومية دين آخر غير دين الإسلام. ولكني –فى الوقت نفسه– لست من الشعوبيين الذين ينتقصون العرب ويتهمونهم، ويفضلون عليهم شعوبًا أخرى. كلا.. لست من هؤلاء، ولا من أولئك، ولكني أريد أن أثبت للعرب فضلاً تؤيده الأدلة، ويشهد له التاريخ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيِّهم، وسريانيِّهم، وروميِّهم، وفارسيِّهم، وغيرهم ..."[(١)].

فجنس العرب –على سبيل الإجمال– أفضل من جنس العجم، وقد يوجد فى العجم أفراد أفضل من العرب، لكن المراد هو تفضيل الجنس عمومًا، كما أن جنس الرجال –مثلاً– أفضل

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٧٠).

من جنس النساء، وقد يوجد مع ذلك في النساء مَن هي أفضل من الرجال.

وفضل جنس العرب على غيرهم أمر معلوم، لا يكاد يجادل فيه أحد، حتى إن شيخ الإسلام رحمه الله لما ذكر أن هناك من يفضّل غير العرب على العرب، قال: "والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق: إمّا في الاعتقاد، وإمّا في العمل ..."(١).

❑ مزايا اختص الله بها العرب:

وإنما ثبت هذا الفضل للعرب على غيرهم بسبب مزايا عديدة، وخصائص فريدة، خصَّ الله تعالى بها العرب، ومن أبرز ذلك:

- **اللغـــة:**

فإن الله عَزَّوَجَلَّ اختص العرب بلغة عبقرية، واسعة، شاعرة، قوية، تلك اللغة التي أنزل الله تعالى بها كتابه، فكانت وعاءً لوحي

(1) المصدر السابق.

الله تعالى، وهاهي تحدث عن نفسها فتقول:

وسعـــتُ كتـــابَ الله لفظـــًا وغايةً
وما ضقـــتُ عن آيٍ به وعظـــاتِ
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصـــفِ آلـــة
وتنسيـــقِ أسمـــاءٍ لمختـــرعـــاتِ؟!
أنا البحـــرُ في أحشـــائه الدر كامـــنٌ
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي؟

- **الحفـــظ:**

فإن العرب يتحلون بأذهان قوية، قادرة على الحفظ؛ ولذلك تجد العربي يستطيع أن يحفظ من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والأشعار والأقوال، وغير ذلك ما لا يستطيعه غيره من أبناء الشعوب الأخرى.

- **العقـــول:**

فالعرب –وبخاصة في هذه البلاد– يتميزون بعقول عملية منتجة، عقول تعلمهم كيف يصلون إلى ما يريدون، كيف يخطون الطريق لنصر دينهم، كيف يجاهدون في سبيل الله !!

إنها عقول حية صافية، لم تدمرها ضلالات الفلسفة التي ضيعت كثيرًا من العقول الأعجمية، ولم تستهلكها سفاهات الترف والضياع والجري خلف أمور لا طائل تحتها.

- **الغرائز والأخلاق:**

إن العرب يتميزون بأخلاق وغرائز لا يتميز بها غيرهم، وهذا أمر لا يشك فيه من عايش العرب، وعايش غيرهم من الأمم والشعوب. فهم أطوع للخير، وأقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة، والوفاء من غيرهم، حتى فى الجاهلية، فقد كان لهم فى الجاهلية طبيعة حميدة، وسجايا كريمة، لكنها كالأرض الطيبة التي لم ينـــزل عليها الغيث، فلما جاء الإسلام واعتنقه أبناء الجزيرة؛ كان كالغيث الذي نزل على أرض طيبة فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

لقد كانوا في جاهليتهم يبعدون عن الغطرسة والازدراء، وكانوا يهيمون بالحرية، ويأبون الذل والاستعباد، ولا يقبلون الضيم، ولا يستمرئون السُّخف بأي حال من الأحوال، في حين أن الشعوب الأخرى كانت لا تأبى الضيم، ولا تأنف من الاستعباد.

وتُروى في ذلك المجال قصص طريفة كثيرة عن العرب

والعجم، يتبين من خلالها الفرق بين الجنسين، فمن ذلك:

*** ذلــة:**

أمر كسرى جنوده أن يمسحوا الأرض، ويقدموا له إحصائية للمزارع والأرضين في بلاده، فمسحوها، وقدموا له إحصائية لها، فجمع كسرى الناس، وقال: قد مسحنا الأرض، وقررنا أن نأخذ منكم فى السنة ثلاث ضرائب، نضعها في بيت المال، وتجتمع فيه، حتى إذا حدث أمر عارض نحتاج فيه إلى المال أخرجنا من ذلك المال، وأنفقناه فى حاجتنا، فما رأيكم فى ذلك؟ فسكتوا.. فقال مرة أخرى: مارأيكم؟ فسكتوا.. فقال ثالثة: ما رأيكم؟ فقام رجل رديء الحظ، وأخذ يُضفي على كسرى من ألفاظ التبجيل، ويخلع عليه من ألقاب التوقير، ثم قال: أتضع أيها الملك -عمّرك الله- الخراج الباقي على ما يفنى: مِن كَرْمٍ يموت، وزرعٍ يهيج، ونهرٍ يغور، وعين ينقطع ماؤها؟! فقال له كسرى: يا مشؤوم؛ من أيِّ طبقات الناس أنت؟ قال: رجل من الكتّاب. قال كسرى: اضربوه بالدُّويّ(1) حتى يموت، فضربه بها الكتّاب حتى مات. ثم

(1) الدُّويّ: جمع دواة وهي المحبرة. لسان العرب (٤/٤٥٥)، وورد في جمعها: كنوى. مختار الصحّاح (ص٩١).

قال كسرى للناس: ما رأيكم؟ فقالوا: نحن راضون.

هكذا أذعنت الفرس لهذا الظلم، وتحملت الضيم، وهكذا يصور كسرى فى الشعوب التى شقيت به على حرية التعبير عما يقبح فى صدورها.

*** إبــاء:**

أما العرب فلا يعرفون في حياقم التزلّف والنفاق، وتحمل الاستعباد، بل جُبلوا على حب الحرية، وعزة النفس، والاعتدال فى التعظيم، حتى كانوا يمتنعون أحيانًا من تلبية مطالب بعض ساداقم وملوكهم، ولذلك أمثلة كثيرة وقصص شهيرة ترويها كتب الأدب، ولا بأس بإيراد شيء منها:

فمن طريف ما يُروى أن أحد ملوك العرب طلب من رجل من تميم فرسًا له تسمى (سكاب)، فمنعه إياها وقال:

أبيــتَ اللعــن إن (سكاب) عِلْقٌ
نفيــسٌ لا تُعــار ولا تُبــاعُ

فلا تطمــعْ – أبيــتَ اللعن– فيها
ومَنْعُكَــها بشيءٍ يستطــاعُ

ومما يُذكر أن عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي المعروف، طلب منه عمرو بن هند –أحد ملوك العرب– أن يزوره هو وأمه، فجاء عمرو بن كلثوم هو وأمه ليلى، فجلس عمرو عند الملك، وجلست أمه عند أم الملك، فأرادت أم الملك أن تذل ليلى وتستخدمها، حيث قالت لها: ناوليني يا ليلى هذا الطبق. فقالت: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فألحّت عليها أن تناولها الطبق. فصاحت أم عمرو: واذلاه! يا لتغلب!! فسمعها ابنها وهو جالس عند الملك؛ فثار الدم فى وجهه، ووثب إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق، فضرب به رأسه، وانتهب بنو تغلب ما فى رواق الملك، ورجعوا إلى الجزيرة، وقال عمرو بن كلثوم فى ذلك قصيدته الشهيرة، التى هى إحدى معلقات العرب ومنها:

بأي مشيئةٍ عمرو بن هند
تُطيع بنا الوشــاةَ وتزدرينــا

تُهدِّدُنا وتُوعِــدُنا رويــدًا
متى كُنَّا لأُمِّــك مقْتَوِينــا!![1]

(1) المقتوين: جمع مَقتوٍ: وهو الخادم، والقتو: الخدمة. لسان العرب (٣٥٦/١).

فإن قناتَنا يا عمروُ أعيــَـتْ

على الأعداءِ قَبْلَك أن تَلِينـــا

*** صدق وصراحة:**

ومما يتميز به العرب الصدق، حتى الذين كانوا يحاربون الإسلام ظهر صدقهم فى أمور، فسهيل بن عمرو -مثلاً- لما جاء إلى النبي ﷺ مع قريش فى صلح الحديبية، واتفقوا على كتابة الصلح، كان مما قاله الرسول ﷺ -كما فى الصحيحين-: "**اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**..." فرفض سهيل أن يكتب الكاتب: "رسول الله"، وقال: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك"(١). وفي بعض الروايات: "لاتّبعناك"(٢).

هكذا كانوا صرحاء، فالمؤمن صريح بإيمانه، والكافر صريح بكفره؛ ولذلك كان المنافقون فى المدينة غالبهم من اليهود، وأما مكة فلم يكن فيها منافق.

(1) أخرجه البخاري (٤٢٥١)، ومسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

(2) هذه اللفظة عند مسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

ومما يذكر فى مجال صدق العرب ما رواه الشيخان: " أن النبي ﷺ كان نائمًا تحت شجرة، فجاءه مشرك من الأعراب اسمه: غورة ابن الحارث، ورفع السيف على النبي ﷺ وقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فقال النبي ﷺ: **الله**، فسقط السيف من يد الأعرابي، فأخذه النبي ﷺ، وقال: **من يمنعك مني؟** فقال: لا أحد، يا محمد، كن خير آخذ. قال: **تشهد ألا إله إلا الله، وأني رسول الله؟** قال: لا، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى النبي ﷺ سبيله"(١).

تدل هذه القصة على أن هذا الأعرابي ليس عنده استعداد للنفاق، فمع أنه رأى السيف مشهورًا أمامه لم يقل خوفًا من الموت: نعم، أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله؛ بل كان صريحًا فى موقفه، وإن كان كافرًا.

ولقد ظهرت سجية الصدق فى العربي بعد إسلامه، بعد أن ارتوى من غيث النبوة، وتربى على مائدة الوحي، فكانت خير ثبت، فهذا عكرمة بن أبي جهل ﷺ حين حمي الوطيس فى

(1) أخرجه أحمد (١٤٥١٢)، والبخاري (٤١٣٩،٤١٣٧،٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ وهذا لفظ أحمد.

معركة اليرموك يقول: قاتلتُ رسول الله ﷺ فى كل موطن وأفرّ منكم الآن! من يبايع على الموت؟ فبايعه من بايعه، فلم يزل يقاتل حتى أثبتوه بالجراح، ثم قتلوه.[١]

- ثناء نبوي على قبائل العرب وبلائهم فى الإسلام:

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على قبائل من العرب، وبيّن بلاءها فى الإسلام، فيما مضى وفيما يُستقبل، وهو كثير يطول الكلام فيه، لكن من ذلك:

أنه أثنى ﷺ على **قريش** فقال: **"الناس تبع لقريش فى هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم"**[٢].

وأثنى على **أسلم** و**غفار** فقال ﷺ: **"أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها"**[٣].

وقال ﷺ: **"قريش، والأنصار، وجُهينة، ومُزينة، وأسلم، وغفار، وأشجعُ ـ مواليّ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله"**[٤].

(1) انظر: البداية والنهاية (٥٦١/٩).

(2) رواه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (١٨١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(3) رواه البخاري (٣٥١٤)، ومسلم (٢٥١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(4) رواه البخاري (٣٥١٢،٣٥٠٤)، ومسلم (٢٥٢٠) عن أبي‌هريرة ﷺ.

وقال أبوهريرة ﷺ: "لا أزال أحب بنى تميم منذ ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"هم أشد أمتي على الدجال"**. قال: وجاءت صدقاتهم فقال النبي ﷺ: **"هذه صدقات قومنا"**. قال: وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: **"أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل"**"[١].

كل ما أسلفنا يدل على أن الله تعالى اختار هذه الجزيرة لتكون هى جزيرة الإسلام، وعاصمة الدين، وهذا أمر تؤيده شواهد التاريخ، ودلالات الواقع، والأخبار النبوية عن المستقبل.

* * *

(1) رواه البخاري (٢٥٤٣ ، ٤٣٦٦)، ومسلم (٢٥٢٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الفصل الخامس

ماضي الجزيرة وحاضرها ومستقبلها

❑ **شواهد من الماضي على اصطفائها:**

ما أكثر الشواهد التاريخية الدالة على اصطفاء الله ﷻ لهذه الأرض الطيبة من بين بقاع الأرض؛ لتكون منارة الإسلام، وعلم الهدى، ومشع النور.

فمن تلك الشواهد:

• **البيت العتيق:** قال تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]، قال جماعة من المفسرين: إنما سمي بالبيت العتيق؛ لأنه لم يظهر عليه جبّار قط، فلم يتسلط عليه الطغاة والكفار والمفسدون؛ بل بقى محفوظًا بحفظ الله.

• **قصة أصحاب الفيل:** إذ لما جاء أبرهة الأشرم بجيشه غازيًا الكعبة سلط الله تعالى عليهم الطير الأبابيل، وأنزل فى ذلك قرآنًا يُتلى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾ [سورة الفيل].

• **الأنبياء يسعون إليها ملبِّين:** إن بيت الله تعالى من لدن أول الأنبياء ﷺ وهو يُحَج ويعتمر إليه، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما: "أن النبي ﷺ مرّ بوادي الأزرق، فقال: **أيُّ وادٍ هذا؟** قالوا: هذا وادي الأزرق. قال: **كأني أنظر إلى موسى** عليه السلام **هابطًا من الثنية، وله جُؤارٌ**[1] **إلى الله بالتلبية.** ثم أتى على ثنية هرشَى، فقال: **أيُّ ثنية هذه؟** قالوا: ثنية هَرشَى. قال: **كأني أنظر إلى يونس بن متّى** عليه السلام، **على ناقة حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة، وهو يلبي**"[2].

• **أن هذه الجزيرة لم تذعن يومًا من الأيام لتسلط أهل البدع:** فلم يحكمها الرافضة، ولا الخوارج، ولا القرامطة، ولا غيرهم من النحل الضالة، وهذا شاهد على بقائها للإسلام. وإن حصل أن تسلط بعض أهل البدع على بقعة منها -كما فعل القرامطة- فإن هذا التسلط بقى محدود الزمان، محدود المكان، وما يلبث أن يبعده الله تعالى على أيدي المؤمنين الصادقين.

---

(1) الجُؤار: الصياح، والتضرع بالدعاء. مختار الصحّاح (ص٣٩).

(2) رواه البخاري (١٥٥٥)، ومسلم (١٦٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا لفظ مسلم. ومعنى جعدة: مكتنزة اللحم، وخلبة: ليف.

● **أن لهذه الجزيرة من العلم والعلماء والتجديد والمجددين أوفر نصيب عبر الزمان:** ولقد كان كثير من أهل العلم يجاورون بمكة أو بالمدينة، وقلّ أن تجد عالمًا إلا دخل أرضها، وزارها وأقام فيها. ولعل ختام المسك دعوة المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله التي أنعم الله بها على هذه الجزيرة، وجدّد لها بها دينها.

❑ **دلالات الواقــع:**

أما فيما يتعلق بالواقع فإن هذه الجزيرة – بحمد الله تعالى– تحظى اليوم وتتمتع بهذه الصحوة المباركة الشاملة، التي أينعت ثمارها، وبدأت تؤتي أكلها بإذن ربها.

ولئن كانت الصحوة الإسلامية اليوم عامة لأقطار المسلمين كافة؛ فإنها في هذا البلد تتميز بأربع ميزات لا تكاد توجد في أي بلد آخر، إلا ما شاء الله:

● **الأولى: أنها سبقت تيار الفساد:**

بعكس البلاد الأخرى التي عم فيها الفساد وطم، وسيطر فيها العلمانيون والمفسدون والمنافقون، ثم استيقظ المؤمنون بعد ذلك، وطفقوا يرجعون إلى دينهم، ويصلحونه من جديد، فكانوا مسبوقين بالفساد، وكأن صحوتهم كانت رد فعل لذلك الفساد.

أما هذه الجزيرة فإنها منذ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى اليوم لا تزال تعيش –إجمالاً– أوضاعًا جيدة، وتنتقل من خير إلى خير، ولا يزال العلم والعلماء، والدعاة، وطلبة العلم، والحلقات والدروس العلمية قائمة على قدم وساق، لم يمر بها خلال ذلك فترة ركود أو خمول أو انهيار، ولم تمن بتسلط الفساد والمفسدين علانية. وإنها لنعمة كبيرة: أن يسبق تيار الخير تيار الفساد.

وإن من مظاهر ذلك أننا رأينا الفتيات الملتزمات بالحجاب الكامل، اللاتي يلبسن القفازات على أيديهن، ويغطين أقدامهن، رأيناهن –والحمد لله– قبل أن نسمع أصوات الأفاعي المنادية بتحرير المرأة –كما يقولون– بزمان طويل. وهذا يدل على أن اتجاه الناس إلى الالتزام بالإسلام في هذه البلاد سبق موجة العلمنة والتغريب، مما أكسب الصحوة قوة وأصالة وصمودًا.

● **الثانية: أن هذه الصحوة جزء من المجتمع لا يتجزأ منه:**

إذ ليست جماعة خاصة، أو فئة معينة؛ وإنما المجتمع كله يعيش –ولله الحمد– صحوة كبيرة؛ ولذلك أعلن الناس كلهم أنهم مع الإسلام، وأنهم مع مبادئ الخير ضد كل دعوة تناوئ الدين.

وهذا بخلاف حال بلاد كثيرة، فإنك قد تجد أهل الخير فيها فئة محدودة منعزلة، والغلبة لأهل الباطل، الذين يرمون الطيبين بشتى التهم؛ فيجدون من يصدقهم، وينطلي عليه تضليلهم، وعامة الناس مشغولون بالبحث عن لقمة العيش لا غير.

- **الثالثة: أنها سلمت من التطرف:**

فإن الصحوة الإسلامية فى كثير من البلاد قد ابتليت ببعض الأطراف التى شذت عن القاعدة، فغلت وزادت؛ ولعل ذلك بسبب سوء الأوضاع، والفساد، وحصار المسلمين فى تلك البلاد من قبل أعدائهم، حتى اضطروهم إلى الغلو والعنف، كما نجد شيئًا من ذلك -مثلاً- فى مصر، أو باكستان، أو الهند، أو الجزائر، أو غيرها، نجد هناك فئات -وإن كانت قليلة- ممن يُسمّون بالمتطرفين، وهم فعلاً غلاة.

والعدو يحاول أن يستغل هذه النماذج القليلة؛ لتعم صفة التطرف على كل المؤمنين -حتى فى هذه الجزيرة-، فيشمل هذا اللقب الجارح كل من التزم بالمظهر الإسلامي، وحافظ على أوامر ربه.

وليقل الأعداء ما يقولون، وليطلقوا على المؤمنين من الألقاب

ماشاءوا، وليصفونا بالمتطرفين أو الأصوليين أو غير ذلك؛ فوالله لن نعبأ بهم، ولن نكترث لما يقولون، فلقد عرفنا طريقنا من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ولن ننتظر من أعداء الله أن يقوّمونا. إن الذى يحزننا هو أن يمدحونا ويثنوا علينا؛ لأن هذا يدل على أن فينا ما يعجبهم، وهم أعداء الله، لا يرضيهم إلا ما يسخطه ﷻ. أما أن يذمّونا ويصمونا بالألقاب المختلفة، فهذا هو الذي يسرنا، وهذا هو المنتظر منهم.

ولئن كانت بعض الحركات فى بعض البلاد الإسلامية قد أصابها -كما أسلفت- شيء من الغلو، فإن الصحوة فى هذه الجزيرة قد حماها الله -فيما أعلم- من ذلك، ولقد تجوّلت فى كثير من مناطقها ومدنها، وجالست أبناءها؛ فلم أر شيئًا مما يُمكن أن يُسمى بالتطرف.

حقًّا إن الآراء قد تختلف، وقد يوجد فرد يتّصف بالشدة، وقد تختلف أساليب معالجة الأخطاء، ولكن ليس هناك غلو فيما أعلم ولله الحمد.

وأسأل الله الذى حفظ هذه البلاد فيما مضى أن يحفظها فيما بقي؛ فإن العدو يتربص بها الدوائر، ويحاول أن يجد ولو نموذجًا

يسيرًا للتطرف؛ لكي يعمم هذه السمة على كل المستقيمين، ولكن.. ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٢١].

• **الرابعة: أن هذه الصحوة في هذه البلاد بنيان واحد متصل بعضه ببعض:**

وليست شيعًا وأحزابًا، كما هى الحال فى عدد من البقاع التى تتحارب فيها الحركات، وترفع كل واحدة منها راية. الصحوة هنا مرتبطة بالعلماء الكبار، وطلبة العلم، والدعاة، والخطباء، وأئمة المساجد، وأمثالهم ممن هم قادة الصحوة وموجهوها. وهذه نعمة كبيرة، فليست الصحوة شيئًا آخر منفصلاً عن العلماء، أو عن طلبة العلم، أو عن المجتمع المتدين. ولا يدرك هذا الفضل العظيم إلا العارفون بأحوال كثير من البلاد الأخرى.

❑ **مستقبل الإسلام فى الجزيرة:**

أما فيما يتعلق بمستقبل هذه الجزيرة فإن النصوص تبشّر بأن هذه الجزيرة محفوظة بإذن الله تعالى، وأن الإسلام سيبقى هو المهيمن عليها إلى آخر الزمان، فلنعرج على شيء منها:

• **جيش خاســـر:**

سبق أن ذكرنا أن الرسول ﷺ أخبر أن جيشًا سيتعرض للخسف؛ لأنه يغزو الكعبة[(١)]، ويحاول أن ينتهك الحرمة، ويسيء إلى بلاد الله تعالى وحرمه وأهله. وهذا جيش خاسر بلاريب.

• **لا تُغزى مكة بعد الفتح:**

عن الحارث بن مالك ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: **"لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة"**[(٢)]، وهذا وعد صادق من الرسول ﷺ بأن مكة، وما حولها محفوظة بحفظ الله ﷻ فلا تُغزى بعدما فتحها النبي ﷺ إلى يوم القيامة، لا يعتدي عليها عدوّ، أيًا ما كان ذلك العدو: يهوديًا، أو نصرانيًا، أو شيوعيًا، أو غير ذلك؛ فَلْتَبُؤ مخططات الشرق والغرب بالفشل الذريع.

وفي هذا الحديث بيان لحفظ الله تعالى لهذه البلاد ولأهلها

---

(1) رواه البخاري (٢١١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٢٨٨٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(2) رواه أحمد (١٤٩٧٨،١٨٥٤٠)، والترمذي (١٥٣٦) من حديث الحارث بن مالك، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وهو حديث زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي فلا نعرفه إلا من حديثه.

متى استقاموا على الإسلام -وإن قصرت بهم النفقات والقدرات البشرية والمادية- ذلك أن الله يقيض لها قومًا صالحين، يقومون على أمر هذا الدين، وهم جزء من الطائفة المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ فى غير ما حديث.

إذن فجهود الأعداء الحاقدين، سواء أكانوا خارجيين - يحاولون غزو الأمة، وتحطيم إمكاناتها-، أم كانوا داخليين مستترين، رافعين أي شعار، متسمين بأي اسم ــ سوف تذهب أدراج الرياح، وسوف تبوء -كذلك- بالفشل، وسيدركون فى النهاية، أنه ليس أمامهم إلا أحد ثلاثة أمور:

فإما أن يتوبوا إلى الله ﷻ، ويقلعوا عما هم عليه من الضلال والانحراف.

وإما أن يفارقوا هذه الجزيرة إلى غيرها، فلا مقام لهم هنا، فإن المدينة -مثلاً- تنفي خبث الناس منها، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ[1]، وكذلك أخبر ﷺ أن الدجال فى آخر الزمان لا يدخل مكة ولا المدينة؛ وإنما يخرج إليه كل منافق

(1) سبق تخريجه. انظر (ص١٠).

ومنافقة[1]. وقد دلت النصوص على أن هذه الجزيرة هى جزيرة الإسلام[2]. فليلحق المنافقون بأسيادهم من الغربيين أو الشرقيين. وإلا فليأذنوا بحرب من الله تعالى ورسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٠،٦١].

- **حــج خــالد:**

يقول الرسول ﷺ - فيما رواه البخاري عن أبي ســعيد الخدري ﷺ-: **"لَيُحَجَّن البيتُ ولَيُعتَمَرَنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج"**[3].

إذن فالبيت باق، ومكة محفوظة، والمدينة محفوظة، والجزيرة محفوظة، بحفظ الله ﷻ وما علينا إلا أن نعمل؛ لعل الله أن يشرفنا بالمشاركة فى خدمة الدين وحفظ الأمة.

(1) سبق تخريجه. انظر (ص١٣).

(2) سبق تخريجه. انظر (ص٢٠).

(3) رواه البخاري (١٥٩٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

- **فتنـــة مفضـــوحة:**

وأكبر فتنة فى الدنيا منذ أولها إلى قيام الساعة ــ هى فتنة الدجال، وهو حرام عليه أن يدخل مكة، ولا المدينة، ولا يلوث أرضهما الطاهرة بقدمه القذرة.

بل إن بداية أفول شمسه وافتضاح أمره هي على يد أحد شباب هذه الجزيرة النجباء الشجعان، الذين يقيضهم الله لفضح الفتن وكسر شوكتها، وتحطيم هيبتها الكاذبة فى نفوس الناس، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يخرج الدجال فيتوجه قِبَله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح[1] -مسالح الدجال- فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال. فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. فيأمر الدجال به فيشبح، فيقول: خذوه**

(1) المَسْلَحَة: قوم ذوو سلاح. مختار الصحّاح (ص١٣٠).

وشجوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا. فيقول: أو ما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب. فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا. ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. ثم يقول: يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: **هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**"[1].

فإذا كانت فتنة الدجال -وهي أعظم فتنة- تتحطم على أسوار طيبة الطيبة، فكل فتنة دونها هى من باب الأولى أن تتحطم على أسوار هذه الجزيرة المباركة.

* * *

(1) البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨) وهذا لفظه، من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.

خاتمة

وختامًا، فها هي ذي الدعوات الفكرية المضللة تكتسح بلادًا من بلاد الإسلام، فلما تناهى مقرها إلى هذه الديار أصابها الإعياء، وفقدت بريقها ولمعانها، وولت الأدبار.

ومثلها النــزعات الشهوانية التي تحيط بهذه الجزيرة، وتحاول كسر أسوارها، فلا تبلغ مما تريد إلا النذر اليسير.

وهكذا الجحافل المدججة المتدافعة، طالما وطئت بلاد الإسلام، وعاثت فيها فسادًا، وسامت المؤمنين سوء العذاب.. أما هنا فالأرض طيبة مطيبة، ما ذلت لباغٍ، ولا أذعنت لجبار، إنما يمرون فيها كمر الجنازة إلى القبر.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الفتح: ٢٣]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس

* * *